# النقد المعرفي وتجاوز إشكالية الموت في النقد المعاصر

***Cognitive criticism and transcend the problem of death in contemporary criticism***

**رانية قدري***

**د.محمد عروس♣**

| تاريخ الإرسال: 2020/07/23 | تاريخ القبول: 11/ 10/ 2020 | تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021 |
|---|---|---|

**الملخص:**

تسعى هذه الدراسة إلى الاقتراب من طبيعة المشكلة التي ما فتئ الخطاب النقدي المعاصر يعرفها، مشكلة اغواءات المناهج والنظريات النقدية التي أفرزت فكرة "الموتية"، وجسدت مبدأ البراغماتي المعرفي، كما تهدفإلى بيان قدرة النقد المعرفي على معالجة هذه الإشكالية النقدية عن طريق قدرة الاحتواء والشمولية التي يتبناها.

تكمن أهمية البحث فيبيان ميدان جديد ظهر على الساحة النقدية، وهو النقد المعرفي،لمعرفة مدى قدرة هذا الأخير على تحقيق فكرة التداخل والتكامل المنهجي والمعرفي بغيةالوصول إلى هدف سامٍ ألا وهو المعرفي من خلال الفني.

**الكلمات المفتاحية**: النقد المعرفي، موت المؤلف، موت الناقد، موت النقد، التكامل المعرفي.

**المؤلف المرسل**: رانية قدري rania.guedri@univ-tebessa.dz

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية

*جامعة العربي التبسي/تبسةrania.guedri@univ-tebessa.dz

♣جامعة العربي التبسي/تبسةarousmohammed@gmail.com

**Abstract:**

*This study seeks to approach the nature of the problem that contemporary critical discourse has been defining, the problem of seducing approaches and critical theories that have spawned the idea of "death", and embodied the cognitive pragmatic principle, as it aims to demonstrate the ability of*

*cognitive criticism to address this critical problem through the ability to contain and comprehensiveness Adopted by.*

*The importance of the research lies in the statement of a new field that appeared on the monetary arena, which is cognitive criticism, to know the extent of the latter's ability to achieve the idea of systematic and cognitive overlap and integration in order to reach a lofty goal which is cognitive through artistic.*

***Key words***:*Cognitive criticism,the death of the author, the death of a critic, the death of criticism, Cognitive integration.*

.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

**. مقدمة:**

شهدت الساحة النقدية في العقود الأخيرة فوضى في المفاهيم في ظل التداخل المعرفي، ما جعل المعرفة النقدية تُبنى على فكرة المؤتية التي تخضع لمبدأ إعدام السابق، وتمجيد التبعية للاحق الجديد؛ فمن موت البلاغة أو دمجها في الأسلوبية كما أراد البعض لها، إلى موت المؤلف، إلى موت الناقد، إلى موت النقد الأدبي، لنجد أنفسنا أمام عبثية معرفية تريد أن تسجننا في دوامة تؤمن بأن المعارف الجديدة تكون لها القدرة والأحقية على معالجة ما تم العجز عنه من قبل السابق،فتكون لها شرعية البقاء على الأخرى.

فكان لا بد من قفزة جادة تمثل خطا مفصليا في تاريخ النقد،نقد يتبنى كل الذي أُعلن موته، ليحفظ به قوام الساحة النقدية، نقد يحضن القديم ويساير الجديد، ويتفاعل مع كل ما يستجد، إنه "النقد المعرفي"،نقد الشمولية الذي يسعى إلى تحقيق التكامل المعرفي دون تصدير موت نقد على نقد أو فكر على فكر. ومن هنا **نطرح الإشكالية الآتية**: كيف عالج النقد المعرفي إشكالية الموت في النقد المعاصر؟وما هي الطريقة المنهجية المتبناة في تحقيقه للتكامل المعرفي؟

**وضع الفرضيات:**

- من المفترض خلال البحث أن نجد مشكلة الموت قد لامست الكثير من الخطابات النقدية على اعتبار أن سياقات ما بعد الحداثة بنت معرفتها على مبدأ الهيمنة الإقصائية للمعارف.

- يفترض أيضا أثناء البحث أن عدوى المِيْتات أصبحت موضة نقدية فكان لابد من أن تقابل بوجود حل بديل يغطي عمق هذه المشكلة النقدية ويحاول التوفيق بين الذي أُعلن موته وبين الذي يستجد؛ فكان النقد المعرفي خير منقذ وخير بديل منهجي لهذا العبث المعرفي.

**أهداف البحث:**

يتمثل الهدف في بيان قدرة النقد المعرفي في تحقيق التداخل وتجسيد التكامل المنهجي بين مختلف العلوم، وتخليص الساحة النقدية من فكرة الموتية التي هيمنت بصفة

كبيرة في فترة ما بعد الحداثة والتي أفرزت مبدأ اقصائيا بين المعارف بمقابل ولادة أخرى.

**منهجية البحث:**

اعتمد البحث على المنهج الوصفي باستخدام التحليل والتركيب كآليات إجرائية تكمننا من وصف ومعالجة القضايا المطروحة.

**2.إشكالية الموت في الخطاب النقدي**

إن معطيات الدرس النقدي المعاصر تأسست على مبدأ الهيمنة والذي جسد تبعيات الإلغاء والمفاوضة النقدية بين النظريات، والذي اتسم بطابع من التأرجح بين من يملك الأحقية في البقاء على حساب الآخر، وبين من يدافع بمسلماته النقدية ليفرض وجوده، فتجسدت فكرة الموت الداعية إلى الإقصاء التام، والتي روجت للمعارف في منحى يتم فيها اختزال وتقويض الأسس التي قامت عليها النظريات السابقة، لتولد معارف جديدة على حساب أخرى.

إن المعارف لا تأتي من فراغ، وكل معرفة تعد عنصرا شارحا، أو ناقدا، أو مفسرا لما قبلها، والساحة النقدية بنيت على هذه التبعات المتوالية غير أن ردات الفعل ومحكماتها، أفرزت هذه الظاهرة التي لو لم تقابل بالنقد المعرفي لغاب النقد بأكمله.

**1.2 موت المؤلف:**

تبلورت فكرة "موت المؤلف" مع "رولان بارت"، لتصبح موضة نقدية تحتضن العديد من الفنون والعلوم، فموت المؤلف لم تكن فكرة وليدة اللحظة، وإنما كانت امتدادا لفكرة النهايات التي بني عليها المشروع الحداثي الغربي والتي فتحت آفاقا سياقية تم من خلالها هذا التجسيد العَدَمِي، لذلك كان "موت الإله" مع "نيتشة" أصولا فكرية لـ "موت المؤلف" مع بارت.

***من موت الإله إلى موت المؤلف:**

انبنى المشروع الحداثي الغربي على فكرة المركزية ومقولاتها التي تعتمد على عودة كل المعارف والمفاهيم والنشاطات إليها، ففكرة «المركز ظل فيها تصور

الإلـه أو المفـارق مسـيطرا على الـذهن البشـري ومركـزا تـدور أفكـاره حولـه، حتى مـع الفلسـفات الحديثـة التي اتخـذت موقفـا مناهضـا أو ناقـدا لهـذا التصـور ظـل معظمهـا يـدور بطريقـة لا واعيـة»[1] فجـاءت محاولـة "نيتشـة" لتعيـد النظـر في هـذا التصـور، وتخلخـل كـل الثوابـت الغربيـة بإعلانـه "مـوت الإلـه" الـذي عبر عنـه بشـكل لافـت وبـاهر في كتابـه"العلم المرح"، فمـا قـام بـه نيتشـة هـو أنـه«قتـل الإلـه مـن أجـل إحيـاء العـالم»[2]، ليعيـد بـذلك إنسـانية الإنسـان التي أهـدرها العـالم الغربـي، ولتجـد هـذه المقولـة صـدى واسـعا في أوسـاط «النقـاد الأوروبيـين الـذين يتوقـون لتـدمير الاتجـاه العيني في تفسـير النصـوص، وإفسـاح الطريـق أمـام ظهـور الإنسـان بكـل مقدراتـه البشـرية التي يـدركها العقـل ومـن أجـل ذلـك فهـو ميـت»[3] فكـان هـذا مطيـة لعبـور ودخـول هـذه المقولـة وهـذا التصـور إلى ميـدان النقـد الأدبي لتجـد الطريـق أمامهـا ممهـدا خاصـة بعـدما كانـت النظـرة للعمـل الأدبي نظـرة كلاسـيكية، لـيعلن الناقـد الغربـي رولان بـارت مقولتـه الشـهيرة مـوت المؤلـف، انطلاقـا مـن فكـرة تصـوره للغـة حيـث أشـار إلى أن «اللغـة هي للتي تـتكلم داخـل العمـل الأدبي، وليس المؤلف »[4].

يوضـح بـارت مبـررات مقولتـه قـائلا:« إن نسـبة الـنص إلى مؤلفـه، معناهـا إيقـاف الـنص وحصـره واعطـاؤه مـدلولا نهائيـا، إنهـا إغـلاق الكتابـة»[5]، لقـد كانـت هـذه المقولـة كـأول ردة فعـل على المنـاهج السـياقية التي أعلـت مـن سـلطة المؤلـف في جعـل العمـل الأدبي ابنـه الشـرعي وانعكاسـا لحياتـه وثقافتـه ونفسـيته، «ليتحـرر بـذلك العمـل الفني مـن سـيطرة التفسـير الأحـادي الـذي كـان مسـيطرا على الاتجاهـات النقديـة الكلاسـيكية»[6]، ويصـبح الـنص هـو اللبنـة الأولى والوحيـدة في إنتـاج المعنى عـن طريـق الصـياغات اللغويـة، وهنـا نقـول أنـه اسـتبدال براغمـاتي معرفـي فـي الوقـت نفسـه، اسـتبدال سـلطة المؤلـف بسـلطة الـنص، وانفتـاح للدلالات، في حيز مغلق، لا سياق مفتوح.

أسسـت مقولـة مـوت المؤلـف –إضـافة إلى لسـانيات دوسوسـير- للمـنهج النقـدي البنيـوي الـذي يقـوم على فكـرة الانغـلاق النصـي، وأن الـدلالات تنـتج

نفسها من خلال التركيب اللغوي، «فالنص الأدبي عالم منغلق ولكنه قابل للانفتاح، بيد أن مفتاحه لا نأخذه في يدنا ونمضي لنفتح أبوابه ونستكنه أسراره وإنما نبحث عن هذا المفتاح في ثناياه ذاتها»[7]، فالقارئ هو من يملك القدرة على فك شفرات النص، والكتابة هي من يحدد هويته، ليصبح المؤلف هامشا وضحية، وخارج اللعبة تماما في صنيع العملية الإبداعية، فدوره لا يتعدى تفكيك النص وتركيبه، والاستمتاع بهذه اللعبة لاكتشاف البنية وصناعة النماذج[8].

**2.2 نقد مقولة موت المؤلف**

إن ممارسة القراءة والتأويل في سياق النقد الأدبي باتت محكومة بكلمة موت التي غدت وكأنها عنصر إلزامي، فالموت الذي أعلنه بارت، اقترن بميلاد فاعل جديد في الممارسة الإبداعية، لتصبح المعارف مؤسسة على مبدأ الهيمنة المعرفية التي جعلت العناصر النقدية مهيّأة للموت، ويصبح تعاملنا مع تحليل القضايا الأدبية أو النصوص تحليلا يعوزه الجانب المعرفي الذي أُعلن موته بمجرد ما أن نتعامل مع البديل. إذ البنيوية يهمها كيف يتشكل المعنى أما المعنى والدلالة فلا يهم المحلل البنيوي. صحيح «أن موت البطل المؤلف جعل ما كان ثانويا وهامشيا يلد من جديد»[9]، لكنه في الوقت نفسه «سعى إلى تهميش الذات على أنها مالكة للنص الأدبي ومنتجة له، لأن أبرز أنواع المؤلفين وخاصة في مجال الدراسات السردية ظهر فيه المؤلف الحقيقي والمؤلف الافتراضي»[10]، ومن غير هذا «ففوكو يرى أننا نخادع أنفسنا ونكتفي بالإعلان فقط، بينما المؤلف يتمتع بصلاحيات وامتيازات الأمر والنهي، وبارت وقع فيما حذر منه فوكو، خاصة أنه قلص المؤلف إلى ضمير لغوي ورقي»[11]. كذلك يبقى هذا الإعلان مرهونا بفكرة أخرى وهي قضية القراءة والتأويل، فموت المؤلف هو إعطاء النص إمكانية تعدد الدلالات،ليصبح التأويل في المقام الأول هو الميكانيزم الكاشف عن هذه الدلالات وكشف المستور، وذلك على حساب دحض قصدية المؤلف التي لو حضرت لأتاحت جانبا كان مضمرا يضبط به حدود التأويل، لذلك ليس من «السهل التعامل مع النص الأدبي والكشف عن دلالته بتغييب شخصية المؤلف، فإذا كانت النصوص مفتوحة للتأويل وكل ممارسة نقدية إساءة للقراءة، فإن ثمة نصوصا تأتي مقترنة بمقدمات يكشف فيها

المؤلفون عن غاياتهم وأهدافهم، فكيف للقارئ أن يشتغل على هذه النصوص دون رؤية مسبقة يشكلها بمجرد قراءة هذا النص»[12]، فالظاهرة الإبداعية تضم صوت المؤلف من جهة وصوت الناقد من جهة أخرى، وتبعات السياق من جهة أخرى.

**3.موت الناقد**

تسللتمقولةالموتإلىكلمامنشأنهأنيكونحضورانوبذلككانالتحولمنموتالمؤلفإلىموتالناقد.

**1.3 من موت المؤلف إلى موت الناقد**

يظل الأدب عرضة للمساءلات النقدية التي تحدد مساره، وتُقوِّم أفكاره، ويظل النقد المحكم الوحيد في سيرورة العملية الإبداعية، ويبقى الناقد بأدواته وأساليبه وأفكاره متأهبا صوب النص الأدبي، ومشاركا في عملية إنتاجه، خاصة بعدما ارتفعت مكانته مع مقولة موت المؤلف، وجعلت منه كيانا قائما بذاته في إنتاج المعنى، ومكونا كاشفا عنه، وجعلته القادر على إثراء العمل من جهة، ومن جهة فإن حضور الناقد هو حضور للمؤلف، فمن البصمات التي يتركها المؤلف يصنع القارئ مساراته القرائية.

بيد أن التحولات التي شهدتها الساحة النقدية، خاصة بدخول الثقافي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتمازج وتلاقح الأفكار مع السياقات، جعل عملية النقد مرتبكة نوعا ما، وجعلت الناقد الذي كان يمتلك زمام الأمور، أمام معارف كثيرة تعجز عنها أدواته وأساليبه في الكشف عنها، فالثقافة الغربية ثقافة تؤمن بفكرة العدمية، لذلك لم تتوان لحظة في الإعلان عن "موت الناقد" للناقد، مثلما كان مع "موت المؤلف".

ظهرت مقولة "موت الناقد" مع "رونالد مكدونالد"، وقد طرحت الكثير من التساؤلات والاستفهامات من قبل النقاد والدارسين وكان أولها: من سيبقى على الساحة النقدية؟ وأين محل العمل الأدبي إن كان الناقد غائبا؟ إذا لم ينسب العمل للمؤلف، وكان الناقد مفقودا، فما مصير الكتابة الأدبية إن

بقيت دون تفسير؟ وما الذي «نرثيه إذن إذا كان هذا الشخص النخبوي الذي ينتمي إلى مرحلة سلطوية غير ديموقراطية ينسحب من المشهد»[13].

إن فكرة "موت الناقد" تفجرت بارتفاع المد الحداثي، واتساع بؤرة السياقات الثقافية، وهيمنة النقد المؤسساتي الذي يعوزه روح الناقد الخبير، ففكرة الموت هذه كانت نتيجة أفعال تراتبية شهدتها السنوات الأخيرة من التقمص العبثي لدور الناقد، الذي كان قوامه وأفعاله متجذرة جذور أرسطو وأفلاطون ويُستشهد بها، للعلو بمكانته. يقول ماكدونالد:« لقد حل الناقد الذي يشرك الآخرين في انفعالاته الشخصية وحماسته الذاتية محل الناقد المعلم، لحكم الموضوعي، والناقد الخبير، فإذا كان بإمكان كل شخص أن يصبح ناقدا فلا حاجة تقريبا لمتخصصين يكرسون وقتهم لهذا العمل»[14]. لقد كان لهذا النقد حجة دافعة نحو إعلان هذا الموت مبدؤها ومبتغاها أنه لا يصح لكل شخص أن يكون ناقدا بالمعنى الصحيح لمفهوم الناقد.

يقدم "مكدونالد" حجة قوية يدعم بها موقفه، وهي فكرة قيمة الناقد أين كانت وأين أصبحت، مشيرا إلى أن الأزمة التي أصابته جعلت منه عرضة لتقمص كل من أراد أن يلبس ثوب الناقد وهو دون تخصصه، فالإعلام والاتصال أصبح ميدان يضم فئات ناقدة، والصحافة منحت لنفسها حق امتلاك نقاد، وبذلك قلت قيمته وضعفت مكانته فأصبح« يُنْظَرُ للناقد بوصفه متطفلا يعتاش على حساب الفنان المبدع»[15]، كما أنه« يجري النظر إليهم في أحسن الأحوال على أنهم مجرد شراح تابعين يعتمدون على الفنون الإبداعية وفي أسوء الأحوال على أنهم مغتصبون يبعث على الازدراء، إنهم يعوضون عن فقر الموهبة والأصالة لديهم بالتقليل من شأن من لديهم القدرة على الإبداع بأنفسهم»[16]. ولهذا فهو لم يتأخر في الإعلان عن "موت الناقد" الذي عم كل الأوساط، واكتسح كل ميدان، إذ يقول: «إنه في أي مكان يظهر فيه الناقد أو في أي وسيلة إعلامية، فإن اسمه يبدو مقرونا بدور آخر أكثر احتراما هو كاتب وناقد، صحفي وناقد، أكاديمي وناقد»[17]. إن الناقد الذي كان يتمتع بميزات

تؤهله من حيث الخبرة الفكرية والفنية، ومن حيث أدواته النقدية، وأحكامه العلمية، ومن حيث معرفته المسبقة بحيثيات إنتاج النص، لم يبق جديرا بالبقاء بسبب نقد مؤسساتي جعل كل هاوٍ يجيد ارتياد ميدانه، وبذلك كانت مقولة "موت الناقد" تعبيرا عن واقع جديد أكثر منها قيمة موضوعية.

**2.3 نقد مقولة موت الناقد:**

تروم كل مقولة نقدية أعلن موتها، إلى التسبب في موت آخر، فموت المؤلف تسبب في موت الإنسان، كما نقدها البعض، وموت الناقد تسبب هو الآخر في موت النقد الأكاديمي، فهذه الإعلانات العدمية للميادين التي كانت متجذرة في ضروب الفكر قد تم إزاحتها بمجرد وجود بدائل لا تضاهيها في نفس القيمة، عدميات تتوالى الواحدة تلوى الأخرى بمبررات تمس جوانب جزئية لا ترقى إلى اكتشاف أخطاء كلية تبين عدم جدواها ليتم تهميشها، فحكم "ماكدونالد" الذي استخلصه من جانب أن العامة أو الجمهور له أحقية ممارسة النقد دون الحاجة إلى الخبراء، قد« جعله لا يعترف بالمساحة التي باتت توفرها المواقع المتخصصة ووسائل الاتصال الحديثة لظهور ممارسات ترتقي بالأدب وتنهض به وتثري النقاش حوله بمجرد صدوره، فكما أن الأدب الجيد يستطيع أن يلفت إليه أنظار القراء مهما تجاهله النقد أو ذائقات القراء، كذلك بالنسبة للناقد الرصين والعالم بالمجال الذي يكتب فيه، فصوته لا يمكن أن يتراجع بتأثير من ضروب التشويش والضوضاء التي قد يحدثها النقاد غير المحترفين»[18]، كما أن « القول بموت الناقد الخبير أو نهاية المرحلة التي برز فيها، ليس في حقيقة الأمر سوى موت لفهم معين لوظيفة الناقد الأدبي، فالنقد الأدبي ليس ممارسة يتميز مفهومها بكونه مفهوما نهائيا أو مكتملا، وإنما هو مجال حواري يضطر دائما للبحث عن حدود أوسع لاشتغاله، هي حدود توتر أو خلاف مع من سبقه أو يجاوره من ضروب النقد»[19]. لذلك نقول إن الناقد الأدبي لم يمت، وأن شرعية حكمه على الأعمال الأدبية ستظل راسخة، وأن هذا الإعلان يخص فئة معينة فقط.

**4.موت النقد الأدبي:**

**1.4موت النقد الأدبي وميلاد النقد الثقافي:**

إن التحولات التي شهدتها الساحة النقدية في العقود الأخيرة أثّرت على مقاربة النص الأدبي وفتحت آفاقا اشتغالية تم على أساسها الانتقال من حدود النسق النصي إلى الكون السياقي والثقافي، ففكرة المابعديات؛ ما بعد الحداثة، وما بعد الكولينيالية، وما بعد... أدرجت ضمنها ميادين وحقولا شتى مختلفة، أغنت من سلطة القارئ في جعله الوحيد والمتحكم في إنتاج معرفة حول النص، ومعاينته انطلاقا مما يقوم به من تأويلات، فجددت معطيات الدور الثقافي والمعرفي، وجعلته يتسلل إلى مضمرات الخطاب وانفتاحه اللامتناهي الذي يتماشى مع الموسوعية الثقافية التي ينطلق منها هذا القارئ.

فجاء النقد الثقافي بديلا عن النقد الأدبي، وكردة فعل عليه، وعلى ما تضمنه من مناهج نصية، لم تتجاوز في دراستها إطار النص واللغة، وكانت غايته الكشف عن كل مضمر نسقي تماهى في النص الإبداعي عن طريق الثقافة، خصوصا مع "فنسنت ليتش" في النقد الغربي ومع "عبد الله الغذامي"في النقد العربي، وغيرهما طبيعة الحال.

يشير "عبد الله الغذامي" في كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" إلى الأزمة التي وقع فيها النقد الأدبي، داعيا إلى تجاوز المبحث النقدي النصي، ليكون النقد الثقافي بديلا منهجيا له، ويعلن موته يقول في هذا السياق: «وأنا أرى أن النقد الأدبي كما نعهده ومدارسه القديمة والحديثة قد بلغ حد النضج أو سن اليأس، حتى لم يعد قادرا على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميا وعربيا»[20] . ويقول أيضا: «لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على التذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي»[21] ؛ أي أن "الغذامي" هنا أراد تجاوز مقولات النقد الأدبي ليبحث في ماوراء الأدبية عن طريق العيوب النسقية الثقافية التي أهملها النقد الأدبي، فكان إعلان "موت النقد الأبي" ضربا من ضروب المغالاة في حقه، فكيف يمكن إبعاد من له أحقية البقاء ومن يملك سلطة إبقاء المعارف المنضوية تحت ضروب النقود المتنوعة؟

**2.4نقد مقولة موت النقد الأدبي:**

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يمحى النقد الأدبي وتقوّض معالمه وأسسه بمجرد إعلان النقد الثقافي، "فسمير خليل" في كتابه "النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب" حاول دحض فكرة الغذّامي في موتية النقد الأدبي، مشيرا إلى أن النقد الثقافي هو تجديد للنقد الأدبي في مسالكه واتجاهاته بطريقة حداثية، لا تمحو أسسه ومنطلقاته، وكل هذا من أجل البحث عن مقاربة تجمع هذين الاثنين حيث يقول«النقد الثقافي نشاط أوفعالية تعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية والإنسانية...أما النص الأدبي فيتعامل معه ليس بوصفه نصا جماليا بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر ما هو مضاد للمعلن في النص الأدبي، ويقصي الجانب الجمالي ووظيفته الشعرية لأنه يؤدي إلى العمى الثقافي الذي لا يجعلنا نرى أن نكتشف الحيل الثقافية التي يتوسم بها لتمرير أنساقها المضمرة، والنقد الأدبي هو الذي يعني بالجمالي والشعري في الأداءالنصي»[22]. لتتوالى دراسة أخرى لمحمود خليف الحياني تحاول التوفيق بين الطرفين دون دحض أحدهما، ملغية في الوقت نفسه ما أعلنه الغذامي.

اتخذ هذا "محمد خليف الحياني" مدخلا آخر لوضع التصورات حول النقد الثقافي، فكتابه "النقد الثقافيالجمالي" يعد دعوة جديدة لمعاينة النقد الثقافي وفق أطر جمالية، تخالف المعهود الذي كان قد أدرج له سابقا في تجاوزه للجماليات، والكشف عن القبحيات. فخليف الحياني أراد التأسيس لنظرية جديدة تعارض في مبدئها ومبتغاها نظرية عبد الله الغذامي، إذ حاول تجسيد علاقة مترابطة بين الثقافة والجمال محوّلا الثقافة إلى معيار جمالي بدلا من كون الجمال معيار ثقافي، وفي هذا الصدد يقول: «وبذلك يكون النقد الثقافي الجمالي هو عملية اكتشاف أو تجل معرفي يبحث عن ماهية ومثالية الشيء الثقافي في العمل الإبداعي بعيدا عن غرضيته ونفعيته»[23]، وبهذا يمكن القول إنه« إذا كانت الأبستمولوجيا قد خيمت على معطيات الدرس المعرفي والاجتماعي والسياسي تنظيرا وشرحا وتحليلا، فإنها لن تستطيع إخفاء خصوصية الساحة النقدية والأدبية وان امتزجت بها، وسيبقى ميدان النقد الأدبي ممتلكا أسباب بقائه بوصفه ميدانا للإبداع، ومساحة للتوالد مع تجدد المفهوم وتطور المصطلح وتشظي الدلالة»[24]. فالنقد الثقافي عندما توسل بالجماليات لكشف القبحيات والبحث في الأنساق الثقافية

المضمرة أراد تغييب النقد الأدبي أو موته كليا على حد تعبير الغذامي، ونسي أن تلك الجماليات المتوسل بها هي من حفظت قوام النص الأدبي بوصفه إبداعا، لذا حتى لو هيمنت المعرفة بكل أشكالها على معطيات الدرس النقدي فإنها لن تستطيع إخفاء ملامح خصوصيته.

ونتيجة كل ذلك جاء"النقد المعرفي" ليحضن هذا وذاك ويتفرد بالشمولية لكل الميادين النقدية يقول محمد سالم سعد الله: «إن القضايا التي يعالجها خطاب النقد الثقافي ستكون عرضة يوما ما للمساءلة المعرفية نظرا للتواطؤ المهيمن على أنشطته، وتحيزه المسجل لصالح بعض الدوائر الثقافية التي تمتلك أسباب بقائه»[25]. وهنا يمكن القول إن النقد الثقافي وقع في أزمة المنهج كما وقع في دائرة التحيز التي أفضت به إلى التبعية مع من يملك سلطة استمراريته، مما استوجب دائرة نقدية أوسع وأشمل انطلقت من فعل المعرفة ذي البعد الإنساني والوجودي وهو "النقد المعرفي".

**5.النقد المعرفي وجدلية التكامل المنهجي:**

إن لإشكاليات النقد الأدبي ككل كانت حصيلة تفاعلات ورؤى نقدية متوالية، ضخت منتوجها المعرفي بطريقة الهيمنة والسيطرة لتفرض نفسها على الساحة وتمنح لها شرعية البقاء، فتولدت الأزمة النقدية التي تجسدت في المناهج والنظريات، بحجة أن السابق دائما لم يكتشف مكامنا غائبة في النصوص الأدبية، فيعلن موتها ويأتي البديل، وهكذا دواليك، لتنتشر عدوى "المَيْتَات" في الخطاب النقدي المعاصر.

ولما اشتدت فكرة الموت (موت المعارف) تنبه النقاد لهذه العبثية التي ستمحوُ أثر هوية كل علم يظهر، فجاءت القفزة النقدية الغربية مع "مارك ترنر""وجورج لايكوف" "وبيتر سوتوكويل" بمبادرة "النقد المعرفي" الذي مَثَّلَ توجها معرفيا في النقد المعاصر، يعمل على استثمار المنتجات النقدية بدل القول بإلغائها، ومع "محمد سالم سعد الله" بسلسلته المتكاملة في النقد المعرفي في المحيط العربي، وكذا "محمود خليف الحياني"؛ ليبيّنوا قدرة النقد المعرفي على تحقيق جدلية التكامل وتجسيد فعل الشمولية لكل المعارف التي أعلن موتها.

**1.5المفهومية النقدية للنقد المعرفي:**

جاء النقد المعرفي هو الآخر كردة فعل على النقد الثقافي ولكن ليس من أجل تذويبه كما فعلت النظريات الأخرى، ولكن لتصحيح المسارات المتعثرة التي آلت إليها العلوم المعرفية التي تبنت مبدأ الموضة وأصبحت تروج للمعارف في سوق استهلاكية. ما إن يتم أخذ نهجها النقدي التحليلي في النصوص، إلا وجاء مَنْ يبعدها بدعوى عدم قدرتها على كشف الذات الإنسانية، وتغييب رؤى ظلت مختزلة في سطور سياقية، ولغة حركها وعي المؤلف، لذلك استفاد هذا الأخير من جل النظريات النقدية والفلسفية والمعرفية ليؤسس من خلالها هذا الفعل الذي عجزت عنه كل العلوم الأخرى ، فالنقد المعرفي هو « تلك العملية العقلية المستوحاة مفاهيمها من فروع علوم النفس، والاجتماع المعرفي، ونظرية المعرفة، والمنطق، والرياضيات، واللسانيات، والسيميائيات، ونظرية التلقي،و فلسفة الذهن وعلوم العصر والتي يتم عن طريقها التعرف على الموضوع المدرك لتفهم التشكيل المعرفي المتجلي في النص الإبداعي من قبل الذات العارفة للوصول لحقيقة الشيء أو المحكي المحرر من كل عرضية ظرفية أو واقعية»[26]، كما أنه «يقوم على تفسير تجربة الوعي في ضوء علاقته بالانتباه والذاكرة والخبرات والمعتقدات، والمشاعر المرتبطة بوجودنا المادي في الأساس، وهذا ما يعرف في الدراسات المعرفية الحديثة بعلاقة العقل مع الجسد»[27]. ويحدد "محمد مفتاح" أسسه المفاهيمية بأنه «على غرار الدلالة المعرفية، وعلم النفس المعرفي، والأنثربولوجيا المعرفية، وسيكون سداه ولحمته مفاهيم مستوحاة من المنطق، والرياضيات، واللسانيات، والسيميائيات، والعلوم المعرفية، وفلسفة الذهن، وهي كما يدرك حكماء هذه الأمة علوم هذا العصر»[28]. ويعرفه "محمد سالم سعد الله" في كتابه "النقد المعرفي المعاصر" فيقول بأنه «مصطلح يقدم مجموعة من التوجهات العلمية ويتجه إلى بيان التناول الشمولي في فهم النص وترجمته إلى خبرة المتلقي وبيان معطياته ويسهم هذا التناول في رسم حوارية معرفية مع النص، متناسقة مع مدركات التلقي ونهجه ولديه إمكانية التحول من ( الظاهرة/العوامل)-بوصف النص مجموعة من التراكيب العيانية-إلى (الخبرة / الفواعل)»[29]، وعليه، فالنقد المعرفي مجال رحب يضم كل النظريات المستوحاة من عالم المعرفة وفق أطر ممنهجة تحفظ هويته من جهة، وهويات العلوم الأخرى من جهة أخرى.

**2.5جدلية التكامل المنهجي:**

إن النظريات النقدية في مجملها تسعى لفعل النهج التحليلي بطرق إبستيمية لترويض النص وفق آلياتها، ولتكشف عن عمق التصور النقدي الذي بني عليه النص، فالمناهج ما بعد الحداثية أثبتت قدرة فائقة في الكشف عن المعنى وإعطاء مكانة كبيرة للقارئ في مشاركته الإنتاجية، لكنها في الوقت نفسه اعتمدت مبدأ الموتية الذي أقصى معارفا بمقابل معارف جديدة.

لقد سعى النقد المعرفي إلى تحقيق التكامل المنهجي بين المعارف الذي يحفظ بقاءها واستمراريتها، ليتم إزاحة هذا العبث النقدي، وليتم مقاربة النصوص مقاربة منفتحة عن طريق استنطاق كل ما تخبئه من زاوية معرفية فهو دعوة «لحوار النقود المتنوعة في مساحة معرفية اشتغالية واحدة دون الجنوح إلى تصدير مقولات بموت هذا الميدان من النقد أو ذاك، كما حدث في طروحات بعض النقاد المعاصرين المبشرين بولادة النقد الثقافي في مقابل موت النقد الأدبي»[30]، لذلك وجب طرح التالي: كيف تم هذا التكامل المنهجي؟

بداية يمكن القول إن النقد المعرفي له علاقة «وطيدة بالمعطيات الحضارية من جهة المعرفة، لأنه قائم على الإدراك المنظم والشمولية في المعارف، وهذان الأمران يعدان من مقومات الحضارة لاسيما في وجهتها الأدبية»[31] ، أي أن هذه المواكبة المعرفية لمستجدات العصر جعلته يحتضن كل ما هو ممكن وقائم لعميات التحليل النصوصية، لذلك فهو نقد «يحاور النقد الثقافي، ويحوي النقد الأدبي، ويناقش النقد الأيديولوجي العقدي، ويستوعب النقد النفسي والتاريخي والاجتماعي، ويكتسب سمات معرفية متجددة ومتطورة بتطور النهج الفكري العالمي في إطار الدرس الحضاري بشقيه الأكاديمي المؤسساتي الجمعي، والابداعي الفردي ذي الخصوصية، إنه ممكنات ومعطيات وتقنيات وآليات وسلوكيات معرفية نراها مناسبة لعصر انهارت معه حدود الأجناس وبان فيه التداخل المعرفي بين العلوم»[32]، وعليه فإنه نقد غني بغنى العلوم التي يحتويها سواء على مستوى الإجراء أو المنهج عن طريق «فحص منظومة تشكل الظواهر المعرفية من خلال تحليل بيان نسقها المشكل لها، ثم تقديمها في إطار من الشمول المعرفي الذي يكتسي نظما حيوية في معالجة الظاهرة، وبذلك اصطبغ العمل المعرفي بتحويل المنتج إلى بنية، وتحويل النص إلى فعل المعرفة الذي يبغي كشف القيم التي

نهض عليها النص، وإعادة تقسيم المنجز الإنساني في سياق معرفي شمولي لا يؤمن بحدود بين الأجناس العلمية، ويسعى إلى تأسيس منطق حواري بينها من خلال تعايش المفردات العلمية أولا، ومشروعية التكامل التي تسير البحث العلمي العالمي المعاصر ثانيا»[33]، وذلك يتحقق في ظل النقد المعرفي التكامل المنهجي من جهة ويؤسس لفعل التواصل من جهة أخرى، ويدعم مبدأ التداخل بين العلوم المعرفية.

من أهم ما تميز به هذا النقد هو ابتعاده عن فعل المحاكمة النقدية التي تفضي به إلى التحيز لجهة معينة قد تكون المؤلف أو النص، أو تجسيده لفعل السيطرة المعرفية التي تقوده إلى إبقاء فكرة على أخرى، أو رفع قيمة وجعلها المركز الذي يقوم عليه النص، كل هذا كان النقد المعرفي بعيدا عنه، وذلك لجعل القارئ يهتم بالنص من ناحية المعرفة «كي يستفيد من كشوفاتها الفكرية أو إنجازاتها الابتكارية وذلك ليستفيد منها معنى يتلاءم وبعض معطيات تحركاته الثقافية أو الاجتماعية، وذلك من مهمات القارئ أن يتحرر من النص»[34]. ومنه فالطريقة التي يتبناها فالنقد المعرفي في المعالجة النقدية تقوم على أن «دراسة التعبير الأدبي سوف تقود إلى اكتشاف ميكانيزمات التفكير عموما، ذلك أن الوعي الإنساني اليومي والتعبير الأدبي ينزلقان من نفس المبادئ في التفكير والتي تبنت من خلال التقاطع بين الإنسان والمحيط»[35]. معنى هذا أن النقد المعرفي يجسد التجربة الحياتية للإنسان عن طريق إضاءة جوانب الوعي والمعرفة الإنسانية التي أسست إحساسنا وأسلوب رؤيتنا للعالم من حولنا.

يشير "سالم سعد الله" في كتابه إلى قضية علاقة النقد المعرفي بالعلوم الإنسانية حيث يقول«تشكل العلوم الإنسانية لبنة علمية مهمة في الفعل المعرفي المعاصر، لأنها تسعى إلى رسم مشهد المعرفة العلمية، لتنطلق من ثم إلى احتضان الحاضر، وتتطلع جاهدة لامتلاك المستقبل، وإرساء قواعد ناجعة لمعرفة إنسانية متطورة، إنها تمثل ضرورة لتحقيق التواصل والتطوير في المشروع الإنساني»[36]. وبذلك تصبح العوم الإنسانية روافد في تقاطعاتها مع النقد المعرفي يغني منها رؤيته الشمولية.

إن النقد المعرفي هو خروج من التيه الموتي الذي خضخض دائرة النقد ليوسع من مدركاته، ويحيل مرونة التحليل فيه سواء في الرؤية أو المنهج إلى أدوات تسمح اكتشاف النص في تفاعلاته كلها؛ لغة، ومؤلفا وسياقا، ولكل ما من شأنه أن يكون بوابة

لإدراك النص وتحقيق الفهم. وبذلك فهو هو إعادة لرسم الحدود الفاصلة بين النص والمؤلف التي أقصتها المناهج السياقية، وتخفيف للعبء النقدي الذي أُثقل على النص الأدبي بدعوى المناهج ما بعد الحداثية، وتجريد من مهمات الناقد للاحتواء الكامل الذي تتقاسمه العملية الإبداعية، لذلك فمنهجيته«تضبط غائيات التوجهات العلمية للنص، وتشكل منطلقاته محورا رابطا بين منتديات أنساقه المتنوعة والمنتمية لحقول شتى، واهتداء فلسفي لإمكانية التطبيق والمعالجة»[37]، ليشكل بذلك مدارا جماليا إبستيميا، تنهض فيه «الممارسات المعرفية بحيوية الخطاب الممكن الساعي لفحص المعتقد، وبيان معوقات تشكل الذات الإنسانية، من خلال تحديد إمكانية نقدية تنطلق من سياقات تسعى للحوار، وتتجه للفاعلية، وتقدم الإقناع مؤازرا للإمتاع، تروم فحص النص التراثي، ولا تسلم بقدسيته، وتمتلك النص الحداثي مؤمنة بقدرته على تكوين أجندة معرفية، مهمتها تحصين اللغة، وتحليل النسق، وساعية لتحديد الحدود الأجناسية المصطنعة»[38]، لذلك كان النقد المعرفي مشروعا كاملا بمنهجيته الشمولية ومسارا مهما في تحليل النصوص والكشف عن الجماليات من جهة، والبحث في العمق المعرفي من جهة ثانية.

**6.خاتمة:**

ما نستخلصه من الدراسة، هو أن النقد المعرفي قد عالج إشكالية الموت بطريقة لا تمحي أثر العلوم، طريقة أسس من خلالها لفعل الاحتواء والشمولية وحقق من خلالها التداخل والتكامل المنهجي والمعرفي، وسعى إلى تحليل النصوص برؤية ممنهجة، رؤية تستعير من كل النظريات والمناهج، كل هذا بغية الوصول لهدف سام ورفيع، ألا هو المعرفي من خلال الفني.

وأهم **النتائج** المتوصل إليها يمكن بيانها في الآتي:

- تجسدت فكرة الموت في الخطاب النقدي المعاصر لتغدو موضة، تحتضن المعارف والعلوم.

- شكلت مقولة موت الإله مع نيتشة نقطة انطلاق أعلن من خلالها بارت عن موت المؤلف.

- موت المؤلف ردة فعل على المناهج السياقية التي نظرت للعمل الأدبي نظرة كلاسيكية.

- إن القراءة والتأويل عرّض مقولة موت المؤلف للنقد الذي استحدثته طبيعة الظاهرة الإبداعية وذلك بانفتاح الدلالات وعدم الإمساك بها، فحتمت عودة المؤلف، وحضور الناقد، والإحاطة بالسياق كي تضبط حدود التأويل.

- مقولة موت الناقد جاءت كردة فعل على مقولة موت المؤلف من جهة، ومن جهة أخرى كانت نتاج سلطة نقد مؤسساتي جمع فئات ناقدة دون تخصصها، ليعلن موت هذا الأخير.

- حلول النقد المؤسساتي على النقد الأكاديمي عرض الناقد من وجهة ماكدونالد للنظرة الدونية التي غيبت شخصيته ومكانته في الساحة الأدبية.

- أعلن موت النقد الأدبي تحت سطوة النقد الثقافي، الذي أراد تغيبه كليا بدعوى عدم قدرته على كشف المضمرات الثقافية.

- ظلت خصوصية النقد الأدبي راسخة بالجماليات، التي تعد ركنا أساسا للنص الإبداعي، لذلك فالمعطيات الثقافية التي تبناها النقد الثقافي لم تستطع محو ملامحه إذ الظاهرة الإبداعية ككل تضم جوانبا جمالية، ثقافية، فلسفية، معرفية، فكان لا بد من النقد المعرفي كصنيع فرض نفسه بقوة في شتى الاهتمامات البحثية في العلوم الإنسانية والسياسية والثقافية والاجتماعية والأدبية والنقدية والحقول المعرفية المتداخلة.

- جاء النقد المعرفي كردة فعل على النقد الثقافي ليحول مسار الدراسة من الجانب الجمالي والثقافي للجانب المعرفي، وليزاوج بين جل النظريات والمناهج النقدية، دون إعلان موت نقد على نقد.

- حقق النقد المعرفي تكاملا منهجيا، محطما بذلك فكرة الموتية ، داعيا للتداخل، محافظا على هويات العلوم، مجسدا مبدأ إدراكيا، يعزز عمق وعي الإنسان بمحيطه ورؤيته للعالم، متبنيا منهجية تجمع بين مرونة وتحليل جمالي معرفي في الوقت نفسه.

**7. الهوامش:**

1 -بدر الدين مصطفى: من موت الإله إلى موت المؤلف، دراسة مقارنة، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 6 نوفمبر2016، ص5.

2 -المرجع نفسه، ص5.

3 - عبد الخالق العف: موت المؤلف لرولان بارت، منهج إجرائي أم إشكالية عقائدية، الجامعة الإسلامية/غزة،2007، ص6

4 - رولان بارت: نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، مركز النماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، الطبعة الأولى1000/1/1994، ص17.

5 - عبد الخالق العف: موت المؤلف لرولان بارت ص7.

6 -بدر الدين مصطفى: موت المؤلف، هل ثمة ضرورة، مجلة فكر الثقافية، نشر بتاريخ6 -11- 2017 موقع إلكتروني، تاريخ الدخول29 -ماي-2020.www.fikrmag.com

7- بخولة بن الدين: موت المؤلف وموت القارئ، علاقة استهاء وتواصل، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الرابع، سنة2018، ص150.

8 - الزواوي بغورة: المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، ط1، الجزائر، 2001، ص 68.

9 - ربابعة موسى: موت المؤلف وآفاق التأويل، مجلة علامات في النقد، الناشر النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد15، الجزء58، ذو القعدة، 1426هـ-ديسمبر2005، ص44.

10 - المرجع نفسه، ص50.

11 - المرجع نفسه، ص55

12 - المرجع نفسه، ص55.

13 - رونان ماكدونالد: موت الناقد، ترجمة فخري صالح، دار العين للنشر، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م، ص15.

14 - المصدر نفسه، ص22،23.

15 - المصدر نفسه، ص24.

16 - المصدر نفسه، ص26.

17 - المصدر نفسه، ص26.

18 - إدريس الخضراوي: دور الناقد وحالة ما بعد الحداثة، مجلة تبيين، العدد15، شتاء2017، ص153.

19 - المرجع نفسه، ص155.

20 - عبد الله العذامي وعبد البني اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 2004، ص12.

21 - عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص8.

22 - سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي للخطاب، دار الجوهري بغداد، الطبعة الأولى 2012، بيروت، لبنان، ص7،8.

23- محمود خليف الحياني: النقد الثقافي الجمالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2008 ص110.

24- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2013، ص6.

25-المصدر نفسه، ص5.

26- محمود خليف خضر الحياني: النقد المعرفي في النص الأدبي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، سنة 2019، ص14.

27- وحيدة صاحب حسن: النقد الأدبي المعرفي المعاصر، الأصول، المرجعيات، المفاهيم، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مجلد18، العدد3، سنة2018، ص94.

28- محمد مفتاح: مشكاة المفاهيم، النقد العربي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، 2000، ص278.

29- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص1.

30-المصدر نفسه، ص1.

31- محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد9 جويلية2016،ص308.

32- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص3.

33- المصدر نفسه، ص1.

34- محمد علاقي: النقد الثقافي والنقد المعرفي الائتلاف والاختلاف، ص310.

35- إبراهيم بن منصور التركي: من النقد الثقافي إلى النقد المعرفي، الرياض، جريدة إلكترونية، العدد1328، سنة 2006م، تاريخ الدخول2020/6/1، التوقيت، 10:41 www.alriyadh.com.

36- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص7.

37- محمد سالم سعد الله: التنمية النقدية، دراسات نصية في المنتج المعرفي، دار نور للنشر، ألمانيا، 2020، ص16.

38- محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، ص2.